صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

انتقاها: مجد مكي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمات قيدتها منذ سنوات طويلة قبل ٣٤ عاما . وهي منتقاة من كتاب " صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم " للأخ الدكتور عيادة الكبيسي حفظه الله في رسالته الماجستير التي قدمها في جامعة أم القرى بمكة، وهذا البحث أقرب إلى المسودات. وقد قام الأخ الكريم طارق قباوة بصفه في جملة ما بين يديه من أوراق كثيرة لي . وهي تحتاج إلى تحرير جديد وعمل علمي واسع لا يتسع وقتي له الآن . ولما رأيتها اليوم، كأني أطالعها لأول مرة. ولعل الله ييسر لي من الوقت ما أضيفه على هذه الأوراق ، التي تمثل كما قلت : اختيارات ونقول ، وهذا الموضوع من أهم الموضوعات التي تحتاج لبحث وتحرير. وقد أعدت النظر السريع فيه وأضفت بعض الإضافات اليسيرة وصححت بعض الأخطاء المطبعية . وأسأل الله أن ينفع بهذه الصفحات .

١- التعريف بالصحبة .

٢- في بيان ما ورد في فضلهم وبيان المفاضلة بينهم رضي الله تعالى عنهم.

٣- في بيان عدالة الصحابة رضي الله عنهم، وما يجب على المسلمين اعتقاده نحوهم.

في التعريف بالصحابي

في التعريف بالصاحب لغة وعرفاً:

الصاحب: مشتقٌّ من الصحبة، وهي في اللغة لها معان كلها تدور حول الملازمة والانقياد.

وفي العرف: الصاحب هو من طالت صحبته، وكثرت ملازمته على سبيل الاتباع.

في تعريف الصحابي في الاصطلاح الشرعي:

ذهب أهل الحديث إلى تعريف الصحابي مراعين المعنى اللغوي العام، وذهب أهل الفقه والأصول إلى تعريف الصحابي مراعين المعنى العرفي.

أ ـ تعريف الصحابي عند جمهور المحدثين: هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم يقظة مؤمناً به، بعد بعثته، حال حياته، ومات على الإيمان.

شرح التعريف:

قولنا من لقي النبي صلى الله عليه وسلم: هو جنس في التعريف: ويدخل فيه من طالت مجالسته، مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي... وغيرهم رضي الله عنهم ممن لازم النبي صلى الله عليه وسلم.

أو قصرت: مثل، الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم كضمام بن ثعلبة، ومالك بن الحويرث، وعثمان بن أبي العاص، ووائل بن حجر، وغيرهم رضي الله عنهم ممن لم يمكث مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا قليلاً.

أو رآه ولم يجالسه: مثل: بعض الأعراب الذين شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، فإنهم رأوه ولم يجالسوه صلى الله عليه وسلم وذلك مثل: أبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي جحيفة وهب بن عبد الله.

ويدخل فيه من روى عنه حديثاً واحداً مثل: مهران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسان بن ثابت، وسهل بن حنيف. رضي الله عنهم.

ومن روى حديثين مثل: عبد الله بن حنظلة الغسيل، وحمزة بن عبد المطلب، وشرحبيل بن حسنة رضي الله عنهم.

أو أكثر، مثل: أبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم من مكثري الرواية من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أو لم يرو شيئاً أصلاً: مثل عبد الرحمن بن حنبل، وثمامة بن عدي، وزياد بن حنظلة التميمي.

ويدخل فيه من غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة، مثل: خبيب بن عدي، وأنس بن النضر.

أو غزوتين: مثل: مُليل بن دبرة الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعتبة بن فرقد السلمي،.

أو أكثر، مثل: البراء بن عازب، وسعد بن مالك (أبو سعيد الخدري) وغيرهما من مشاهير الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

أو لم يغز مع النبي صلى الله عليه وسلم أصلاً، مثل: حسان بن ثابت الأنصاري، ويدخل فيه الذكور والإناث.

أما البالغون منهم: فباتفاق أهل الحديث.

وأما غير البالغين: فقد اشترط التمييز فيهم: يحيى بن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وأبو داود، وابن عبد البر، وغيرهم، كما ذكر العراقي في التقييد.

ومن هؤلاء المميزين الذين ثبتت صحبتهم: سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانتاه سيدنا الحسن، وأخوه الحسين عليهما السلام، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم جميعاً.

ثم اختلفوا في غير المميزين من صغار الصحابة مثل: محمد بن أبي بكر الصديق الذي ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر وأيام، ويحيى بن خلاد

بن رافع الزرقي فقد ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وحنَّكه وسماه، ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس فقد حنكه النبي صلى الله عليه وسلم وسمَّاه محمداً، وغيرهم ممن حنكه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له، ولم يكن مميزاً، هل يدخلون في مفهوم الصحابي أو لا؟

فذهب بعضهم إلى أنهم يدخلون في مفهوم الصحبة، لأن لقاءهم بالنبي صلى الله عليه وسلم أعم من أن يكون بالنفس والاختيار، أو بالغير والاضطرار، وأن الإيمان أعم من أن يكون حقيقة أو حكماً أو تبعاً، كما نقل ذلك الألوسي في (أجوبته العراقية).

وأيدوا ذلك بأن كثيراً من المحدثين الذين صنفوا في الصحابة عَدُّوهم منهم، ولهذا يقول الحافظ ابن حجر: إن عمل من صنف يدل على عدم اشتراط التمييز فإنهم ذكروا مثل: محمد بن أبي بكر الصديق، وإنما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة شهور وأيام، كما ثبت في الصحيح، وأنَّ أمه أسماء بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل أن يدخلوا مكة، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة.

غير أن ثبوت الصحبة لهم إنما هي من حيث شرف الصحبة لا من حيث الرواية فإنهم فيها في حكم كبار التابعين.

وذهب آخرون: إلى أنهم ليسوا من الصحابة، وقالوا فيهم: إن لهم رؤية وليست لهم صحبة، وممن قال بذلك: العلائي في جامع التحصيل.

كما يدخل فيهم أيضاً الإنس، والجن، والملائكة.

أما الإنس: فباتفاق المحدثين.

وأما الجن: فيدخلون في مفهوم الصحابة على القول الصحيح، وهو الذي رجحه الحافظ في الفتح (٧/ ٤): (أما الجن فالراجح دخولهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث إليهم قطعاً، وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون، ممن عرف اسمه لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة).

وذلك مثل: زوبعة، وسمهج أو سمجح، وعمرو بن جابر، ومالك بن مهلهل، وشاطر، وماصر، ومنشي، ولاشي... وغيرهم. انظر: إرشاد الساري ٥/ ٣٠٦.

وممَّن جرى على هذا القول القسطلاني والزرقاني، انظر: المواهب ٧/ ٢٨، وزكريا الأنصاري في فتح الباقي ٣/ ٢ والعراقي في التقييد والإيضاح ص٢٩٥، وابن حزم كما في المحلى، والفصل، والإحكام وغيرهم.

ووجهتهم في ذلك:

١ ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم.

٢ ـ وأنه صلى الله عليه وسلم لقيهم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم في صحيحه وفيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن).

٣ ـ وأنهم آمنوا به: فتحققت بهم شروط الصحبة.

وذهب بعضهم: إلى أنهم لا يدخلون في مفهوم الصحابة، وممَّن جرى على هذا القول: ابن الأثير حيث عاب على أبي موسى المديني ذكره تراجم بعض الجن في كتابه. انظر أسد الغابة ٢/ ٢٦٧.

وأما الملائكة: فقد اختلف المحدثون في دخولهم في مفهوم الصحبة أو عدم دخولهم، وهو خلاف مبني عندهم على أن النبي صلى الله عليه وسلم هل بعث إلى الملائكة وأرسل إليهم، أو لم يكن مبعوثاً إليهم؟

فذهب جماعة منهم: إلى أنه كان مبعوثاً لهم، ومرسلاً إليهم، وقد لقيه بعضهم وهو مؤمن به فثبتت لهم الصحبة.

وممن جرى على هذا القول: الإمام السيوطي في كتابه (الحبائك في أخبار الملائك) كما رجحه القاضي شرف الدين البارزي ت (٧٣٨)، وتقي الدين السبكي، وابن كثير.

وأثبت بعض الأصوليين فيه الإجماع كما في المواهب.

وذهب جماعة آخرون: إلى أنهم لا يدخلون في مفهوم الصحبة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مبعوثاً إليهم، كما أنهم ليسوا من أهل التكليف.

وممَّن قال بذلك وجزم به: الحليمي، والبيهقي، ومحمود بن حمزة الكرماني، ونقل النسفي والرازي في تفسيريهما الإجماع عليه، وجزم به من المتأخرين الحافظ زين الدين العراقي في نكته على ابن الصلاح، والشيخ جلال الدين المحلي في شرح جمع الجوامع، انظر الحبائك ص٢١١.

وهناك من يرى **أن البعثة ليست بشرط في ثبوت الصحبة،** وإنما مفهوم الصحبة يتحقق بثبوت اللقاء، والإيمان والحياة، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لقي بعض الملائكة وهم أحياء مؤمنين به فيتحقق لهم شرط الصحبة فيدخلون في مفهومها، بقطع النظر عن الإرسال وعدم الإرسال.

وأضيف هنا ما ذكره أخونا الكبير البحاثة الشيخ صلاح الدين الإدلبي في تعريف الصحابي في كتابه" متنزه الأنظار" ففيه نظر وتحرير جديد مفيد:

قال حفظه الله تعالى: " الذين يُطلق عليهم وصف الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

يُقال في اللغة: صحب فلان فلانا سنة، وصحب فلان فلانا شهرا، أو يوما، أو ساعة من نهار، وهذا صحيح مع التقييد بالمدة الزمنية، لكن لا يُقال في العرف اللغوي: إن فلانا من أصحاب فلان بإطلاق ولم يصحبه إلا فترة يسيرة.

وفي السنة النبوية دليل على ذلك، وهو ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري أنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه"**. ورواه أحمد في مسنده بنحوه من حديث أنس.

فلو كان العرف اللغوي يقضي بصحة إطلاق لفظ الأصحاب على خالد وأمثاله ممن لم يكن قد مضى على إسلامهم سوى فترة يسيرة لَما صح أن يُقال لهم :"لا تسبوا أحدا من أصحابي".

ـ الصحابة بالمعنى الخاص والصحابة بالمعنى العام:

لا بد من التفريق بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى الخاص، وأصحابه بالمعنى العام:

فأهل المرتبة الأولى هم الذين صحبوه فترة كافية من الزمن بحيث تظهر فيهم آثار تلك الصحبة، فعُرفوا بالاستقامة والبذل والنصرة، ومنهم المبشرون بالجنة وأهل بدر وأحد

والخندق وأهل بيعة الرضوان وغيرُهم، وهم الذين قال الله جلَّ شأنه فيهم: {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا، وكلا وعد اللهُ الحسنى} . فالذين أنفقوا وقاتلوا من قبل الفتح أو من بعده هم الذين وعدهم الله الحسنى، وأما غيرهم فغير داخلين في الوعد.

وأهل **المرتبة الثانية** هم الصحابة بالمعنى العام، وهم كل مَن لقيه مؤمنا به وقد بلغ سن التمييز ومات على الإسلام. ويدخل في هؤلاء من لم يصحبوه فترة كافية من الزمن بحيث تظهر فيهم آثار تلك الصحبة، والأَولى عدم تحديد الفترة بمدة معينة، وهذا يختلف من إنسان لآخر، فبعض الناس تكفيه لحظات، وبعضهم لا تؤثر فيه سنوات.

نقل الزركشي في البحر المحيط وابن حجر في الإصابة عن الإمام المازري رحمه الله أنه قال في شرح البرهان: [لسنا نعني بقولنا "الصحابة عدول" كل من رآه صلى الله عليه وسلم يوما ما أو زاره لماما أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كثب، وإنما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون]. ولكنهما اعترضا عليه ولم يوافقاه فيه.

وقال الإمام القرافي رحمه الله في كتابه شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول: [ومعنى قول العلماء "الصحابة رضوان الله عليهم عدول" أي: الذين كانوا ملازمين له والمهتدين بهديه عليه الصلاة والسلام، وهذا هو أحد التفاسير للصحابة، وقيل: الصحابي من رآه ولو مرةً، وقيل: مَن كان في زمانه، وهذان القسمان لا يلزم فيهم العدالة مطلقاً، بل فيهم العَدْل وغيره، بخلاف الملازمين له عليه السلام وفَاضَتْ عليهم أنواره وظهرتْ فيهم بركاته وآثاره].

وإذا كان كثير من أهل العلم لا يرتضون مثل هذا القول فلهم اجتهادهم وأجرهم إن شاء الله، ويخالفهم في ذلك آخرون، والعلم مداره على الدليل الصحيح، لا على الانتقاء من أقوال العلماء قبولا وردا بغير دليل.

وإلى هذا التفريق بين مراتب مَن لهم صحبة يشير كلام بعض السلف:

روى أحمد في المسند بسند جيد عن عاصم بن سليمان الأحول وهو تابعي ثقة أنه قال في عبد الله بن سرجس: "رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولم تكن له صحبة"، مع أنه هو قد روى عنه أنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت عليه وأكلت من طعامه وشربت من شرابه ورأيت خاتم النبوة. وقد روى عاصم عن ابن سرجس عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث.

وروى أحمد في المسند بسند صحيح عن معاوية بن قرة وهو تابعي ثقة أن أباه قرة بن إياس قدم مع وفد مزينة على النبي صلى الله عليه وسلم فمسح رأسه واستغفر له، وروى علي بن الجعد وأحمد والرُّوياني في مسانيدهم وأبو نعيم في معرفة الصحابة بسند صحيح عن شعبة أنه قال: قلت لمعاوية بن قرة: أكان أبوك صحب النبي صلى الله عليه وسلم؟. فقال: لا ولكنه كان على عهده قد حلبَ وصَرَّ. فهذا التابعي الثقة معاوية بن قرة لا يرى أن أباه قرةَ بنَ إياس صحابي، مع أنه قدم مع الوفد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد وصل إلى سن يقدر فيها على حَلْب الناقة وصَرِّ أخلافها بالصِرار، وهذا يعني أن عمره كان إذ ذاك قرابة عشر سنين.

ويُستأنس هنا بما روى ابن عساكر في تاريخ دمشق، قال: أخبرنا أبو بكر الأنصاري حدثنا أبو محمد الجوهري أخبرنا أبو عمر بن حيوية أخبرنا أحمد بن معروف حدثنا الحسين بن

الفهم أخبرنا محمد بن سعد أخبرنا علي بن محمد عن شعبة عن محمد السَيْلاني أنه قال: أتيت أنس بن مالك فقلت: أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. قال: "قد بقي قوم من الأعراب، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقي".

[أبو بكر الأنصاري محمد بن عبد الباقي بن محمد ثقة، ولد سنة ٤٤٢ ومات سنة ٥٣٥. أبو محمد الجوهري الحسن بن علي بن محمد ثقة، ولد سنة ٣٦٣ ومات سنة ٤٥٤. أبو عمر بن حيويه محمد بن العباس بن محمد ثقة، ولد سنة ٢٩٥ ومات سنة ٣٨٣. أحمد بن معروف بن بشر بن موسى ثقة مات سنة ٣٢٢. الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فَهم ليس بالقوي كما قال الدارقطني والحاكم، ولد سنة ٢١١ ومات سنة ٢٨٩. محمد بن سعد بن منيع الحافظ العلامة الحجة ولد سنة ١٦٨ ومات سنة ٢٣٠. علي بن محمد المنجوراني أو المنجوري ذكره ابن حبان في الثقات، وضعفه الدارقطني، وقال أبو يعلى الخليلي ثقة يخالف في بعض أحاديثه. شعبة بن الحجاج الإمام الثقة مات سنة ١٦٠. موسى السَيْلاني وثقه ابن معين كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم]. فهذا إسناد لين، ولكنه صالح للاستئناس به.

كما يُستأنس بما روى الخطيب البغدادي في الكفاية من طريق الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي أنه قال: أخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: كان سعيد بن المسيب يقول: "الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين".

[محمد بن عمر الواقدي متروك فيه كلام كثير، مات سنة ٢٠٧. طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب قال أبو حاتم لا أعرفه، وأبوه ذكره ابن حبان في الثقات]. فهذا سند ضعيف.

وفي هذا السياق يأتي قول علماء الأصول من فقهاء الحنفية رحمهم الله تعالى بأن بعض المذكورين في الصحابة هم في حيز المجهولين، وقد قال شمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسي المتوفى سنة ٤٨٣ في كتاب الأصول: "فأما المجهول فإنما نعني بهذا اللفظ من لم يشتهر بطول الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عُرف بما روى من حديث أو حديثين، ... ورواية هذا النوع على خمسة أوجه: أحدها أن يشتهر لقبول الفقهاء روايته والرواية عنه، والثاني أن يسكتوا عن الطعن فيه بعدما يشتهر، والثالث أن يختلفوا في الطعن في روايته، والرابع أن يطعنوا في روايته من غير خلاف بينهم في ذلك، والخامس أن لا تظهر روايته ولا الطعن فيه فيما بينهم، ... وأما ما لم يشتهر عندهم ولم يعارضوه بالرد فإن العمل به لا يجب، ولكن يجوز العمل به إذا وافق القياس، لأن مَن كان من الصدر الأول فالعدالة ثابتة له باعتبار الظاهر، لأنه في زمانٍ الغالبُ من أهله العدول، فباعتبار الظاهر يترجح جانب الصدق في خبره، وباعتبار أنه لم تشتهر روايته في السلف تتمكنُ تهمة الوهَم فيه، فيجوز العمل به إذا وافق القياس على وجه حسْن الظن به، ولكن لا يجب العمل به، لأن الوجوب شرعا لا يثبت بمثل هذا الطريق الضعيف".

وأما الذين حصل لهم اللقاء وهم دون سن التمييز فهؤلاء ليس لهم صحبة، ويُقال في آحادهم فلان له رؤية، ولمجرد الرؤية أدخلوهم في كتب الصحابة.

مثال:

سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، ذكره جماعة في الصحابة، وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: [قال ابن سعد: "قـبُض النبي صلى الله عليه وسلم ولسعيد تسع سنين". وقال أبو أحمد العسكري: "له صحبة". وفي هذا الجزم بها نظر، نعم، له رؤية]. انتهى كلام ابن حجر.

ومن الغريب أن يُعَدَّ من رآه النبي صلى الله عليه وسلم صحابيا دون أن يكون هو له رؤية منه أو ما يقوم مقامها !!، ومن الأغرب أن يُتوسع في هذا المعنى بحيث يشمل وصْفُ الصحبة المخضرمين على احتمال ثبوت رؤية النبي عليه السلام لجميع مَن في الأرض ليلة

الإسراء !!، وفي هذا المعنى يقول ابن حجر: "الصحابي هو من لقيَ النبي صلى الله عليه وسلم ...، ويدخل فيه رؤية أحدهما الآخر سواء كان ذلك بنفسه أم بغيره". ثم يقول: "المخضرمون الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ولم يرَوُا النبي صلى الله عليه وسلم معدودون في كبار التابعين، لكن إن ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء كـُشف له عن جميع مَن في الأرض فرآهم فينبغي أن يُعد مَن كان مؤمنا به في حياته إذ ذاك وإن لم يلاقه: في الصحابة، لحصول الرؤية من جانبه صلى الله عليه وسلم"!!!. وهذا توسع غير مرْضي ولا مقبول.انتهى.

ثالثا: في بيان بعض ما ورد في فضلهم

بيان ما ورد في فضلهم من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة:

في فضل الصحابة جماعات وأفراداً، مما ورد في كتاب الله:

١ ـ فمن ذلك قوله تعالى:[**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ**] {الأنفال:٦٤}. في هذه الآية أثنى الله تعالى على جميع المؤمنين الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يكفونه في جميع أموره: أو أنهم يكفونه الحرب بينه وبين أعدائه من الكفار والمشركين وفي ذلك تنويه بفضلهم، وبيان لعظم شرفهم رضي الله عنهم أجمعين.

٢ ـ وقوله تعالى:[**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**] {التوبة:٨٩}.

فهذه الآية الكريمة أثنى الله تعالى بها على جميع المؤمنين الذين آمنوا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فجعل لهم الخيرات، وهي منافع الدارين، وأثبت لهم الفلاح والفوز عند الله يوم القيامة، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

٣ ـ وقوله تعالى:[**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**] {التوبة:١٠٠}.

فهذه الآية الكريمة دلت على فضل المهاجرين والأنصار، فقد أخبر الله عنهم بأنه أعدَّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

٤ ـ وقوله تعالى:[**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**] {الفتح:٢٩}.

في هذه الآية الكريمة أثنى الله تعالى على جميع المؤمنين الذين آمنوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم وفي وجوههم نور يشع من الخشوع.

٥ ـ وقوله تعالى [الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ(١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ(١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ(١٧٤)]. {آل عمران}..

٦ ـ وقوله تعالى:[**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**] {الأنفال:٧٤}.

في هذه الآية الكريمة أثنى الله تعالى على المهاجرين، والأنصار بأنهم المؤمنون حقاً لأنهم حققوا مقتضيات إيمانهم من هجرة الوطن، ومفارقة الأهل، والنصرة الصادقة... وقد بشَّرهم الله تعالى بما أعد لهم من مغفرة ورزق كريم، وفي ذلك من الفضل الشيء العظيم.

٧: قوله تعالى [**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا(١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(١٩)**]. {الفتح}..

أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة: بأن المؤمنين من المهاجرين والأنصار الذين بايعوا نبيهم صلى الله عليه وسلم بإخلاص تحت الشجرة في غزوة الحديبية وهي المسمَّاة (بيعة الرضوان) قد رضي الله عنهم، وأنزل السكينة عليهم، وأثابهم فتحاً قريباً وهو فتح خيبر.

٨ ـ وقوله تعالى [**لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ(٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ(٩)**]. {الحشر}..

٩ ـ وقوله تعالى:[**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٢١٨)**]. {البقرة}..

١٠ ـ قوله تعالى [**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ(٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ(٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ(٢٢)**]. {التوبة}..

١١ ـ قوله تعالى [**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٤٢)**]. {النحل}..

١٢ ـ قوله تعالى [**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ(٥٩)**]. {الحج}..

١٣ ـ قوله تعالى:[**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ**] {البقرة:٢٠٧}. نزلت هذه الآية في سيدنا صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه. انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٤٧، والمستدرك ٣/ ٢٩٨.

١٤ ـ قوله تعالى [**وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ(٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ(٥٣)**]. {الأنعام}..

نزلت هذه الآيات في سعد، وابن مسعود، وبلال، وصهيب، وعمار، وخباب رضي الله عنهم،

(٢٤١٣) حدثنا زهير بن حرب حدثنا عبدالرحمن عن سفيان عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد : فيّ نزلت :{ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي }[الأنعام : ٥٢]

قال: نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم وكان المشركون قالوا له تدني هؤلاء**!!**

عن سعد قال: كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه و سلم: اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا.

قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه و سلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه

فأنزل الله عز وجل: { **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** }.

انظر: صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص ٤/ ١٨٧٨ وانظر: مسند أحمد ١/ ٤٢٠، ومجمع الزوائد ٧/ ٢١.

١٥ ـ وقوله تعالى:[**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**] {التوبة:٤٠}.

في هذه الآية بيان فضل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

١٦ ـ وقوله تعالى:[**مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**] {الأحزاب:٢٣}.

نزلت هذه الآية في فضل أنس بن النضر وأشباهه رضي الله عنهم.

عن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه { **مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ** } . إلى آخر الآية

انظر: البخاري، كتاب الجهاد، باب قول الله عزَّ وجل: من المؤمنين رجال ٢/ ١٣٨.

١٧ ـ وقوله تعالى:[**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا**] {الأحزاب:٣٢}.

في هذه الآية الكريمة بيان لفضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهنَّ على غيرهنَّ من النساء.

في فضائل الصحابة رضي الله عنهم ممَّا ورد في السنة الصحيحة:

١ ـ روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي: فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه) واللفظ لمسلم ٤/ ١٩٦٧. وأخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٢/ ٩٢.

في هذا الحديث بيان لفضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نهى عن سبِّهم، ووصفهم بالصحبة، وأضافها إلى نفسه، تنويهاً لفضلهم، وبياناً لشرف منزلته، ثم بيَّن أنهم يفضلون غيرهم بما ينفقون أموالهم في سبيل الله، وذلك لأن نفقاتهم كانت في وقت الضرورة وضيق الحال، ومن هنا كان إنفاق مد طعام أو نصفه من أحدهم أفضل عند الله من إنفاق مثل جبل أحد ذهباً من غيرهم رضي الله عنهم جميعاً.

٢ ـ ما رواه البخاري ٢/ ٢٨٧، ومسلم ٤/ ١٩٦٢ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس. فيقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس. فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم. فيفتح لهم). واللفظ للبخاري.

فيه إثبات الفضيلة للصحابة رضي الله عنهم حيث إن البلاد تفتح أمام الجماعة الغازية التي فيها بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كرامة لهم، وبيان لفضلهم، وذلك لما لهم من حسن قصد، وسلامة نية، وصدق في نشر الدعوة الإسلامية، وكذلك فيه فضيلة لمن صاحبهم أو صاحب من صاحبهم.

٣ ـ روى البخاري ٢/ ٢٨٧، ومسلم ٤/ ١٩٦٤ في صحيحيهما عن عمران ابن حصين رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم) قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمن) واللفظ للبخاري.

٤ ـ روى مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦١ عن أبي بردة رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: ما زلتم ههنا؟ قلنا: يا رسول الله صلينا

معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء قال: أحسنتم أو أصبتم، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: (النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون).

في هذا الحديث بيان لفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنهم أمان للأمة من ظهور البدع، والحوادث في الدين، والفتن، واختلاف القلوب. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه من ذلك. انظر: شرح النووي ١٦/ ٨٣.

٥ ـ روى مسلم ٤/ ١٩٤٢، والترمذي ٥/ ٣٥٧ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل النار أحدٌ ممَّن بايع تحت الشجرة) واللفظ للترمذي.

في هذا الحديث بيان لفضيلة بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ممَّن بايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة، وأنهم لا يدخلون النار.

٦ ـ وما رواه الشيخان في صحيحيهما عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد، والزبير، وكلنا فارس في قصة حاطب بن أبي بلتعة. فقال عمر: يا رسول الله: قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلْأضرب عنقه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما حملك على ما صنعت ؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله. أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع

الله به عن أهله وماله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً، فقال عمر: إنه قد خان الله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال صلى الله عليه وسلم : أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـ أو قد غفرت لكم ـ فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم.

في هذا الحديث بيان فضل أهل بدر، وأن الله تعالى قد غفر لهم ما عسى أن يقع منهم من خطيئة، وأوجب لهم الجنة، وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم.

٧ ـ روى البخاري في صحيحه في كتابه مناقب الأنصار ٢/ ٣٠٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: (ولو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً، لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار).

في هذا الحديث بيان لفضل الأنصار رضي الله عنهم، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم رضي أن يكون واحداً منهم لولا الهجرة، وأنهم وفّوا بعهده، وأحسنوا جواره صلى الله عليه وسلم.

٨ ـ روى البخاري ٢/ ٣١٠، ومسلم كتاب الإيمان ١/ ٨٥، عن البراء رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبَّهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله).

فحب الأنصار عنوان الإيمان، وبغضهم عنوان النفاق، وقد دعا صلى الله عليه وسلم لمن أحبَّهم بأن يحبه الله، وعلى من أبغضهم بأن يبغضه الله).

وخصوا بهذه المنقبة لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه، والقيام بأمرهم، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، وإيثارهم على أنفسهم. فتح ١/ ٦٣.

فيما ورد في فضل الصحابة من أقوال العلماء

وما ورد من أقوال الصحابة بعضهم في بعض:

١ ـ قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجب قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء. مسند أحمد ١/ ٣٧٩، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير، ورجاله موثقون.

٢ ـ قول سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

(من كان مستناً فليستنّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا خير هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الهدى المستقيم، والله رب الكعبة) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٠٥ـ٣٠٦.

٣- عدالة الصحابة رضي الله عنهم وما يجب على المسلمين نحوهم

تعريف العدالة لغة:

الاستقامة في الدين، ففي اللسان ١١/ ٤٣١: العدل الذي لم تظهر منه ريبة. ومنه العدل - لا بالمعنى المقابل للجور - وإنما بمعنى الرجل الذي يرضى الناس عنه، ويقبلون شهادته، ويقنعون بها.

في بيان اختلاف العلماء في عدالة الصحابة رضي الله عنهم:

اختلف العلماء في إثبات العدالة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مذاهب شتى:

المذهب الأول: وهو مذهب أهل السنة والجماعة ومن وافقهم من الزيدية، والمعتزلة في إثبات عدالة جميع الصحابة رضي الله عنهم.

فالصحابة قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته، وتبليغ شرعه، وإعلاء كلمته، وكلهم رضي الله عنهم عدول، تحقَّقت فيهم صفة العدالة، وظهر فيهم معناها، ومن صدر منهم ما يخالف ذلك كوقوع في معصية مثلاً، فإنما هو لمرة واحدة، ولأفراد قلائل، ثم لم يلبث من وقع منه ذلك أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً.

وإثبات عدالة الصحابة رضي الله عنهم يؤيده الإجماع، والكتاب، والسنة.

أما الإجماع: فقد نقله جمع كبير من العلماء رحمهم الله منهم الإمام ابن عبد البر فقد حكى مقدمة الاستيعاب ١/ ١٩: إجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول.

والإمام الجويني كما نقله عنه السخاوي في فتح المغيث ٣/ ١٠٣، والإمام العراقي في شرح ألفيته ٣/ ١٣-١٤، والإمام الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/ ٩.

وابن الصلاح في مقدمته ص١٤٧، والإمام ابن كثير في الباعث الحثيث ص١٨١، والإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٥/ ١٤٩، وفي التقريب ٢/ ٢١٤والغزالي في المستصفى ص١٨٩.

وأما الكتاب: فقوله تعالى:[**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**] {البقرة:١٤٣}.

وجه الاستدلال من هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، أن وسطاً فيها بمعنى: عدلاً. قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم   إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم ؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره::[**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**] {البقرة:١٤٣}.والوسط: العدل).

رواه البخاري في كتاب التفسير، باب وكذلك جعلناكم أمة وسطا ٣/ ١٠٠، ورواه أيضاً في كتاب الاعتصام ٤/ ٢٦٨.

والخطاب عام لجميع الأمة، ويكون الصحابة قد دخلوا فيه دخولاً أولياً، وهم أولى بالدخول من غيرهم، لما لهم من مآثر جليلة، وأعمال في الخير عظيمة، أهَّلتهم للاتصاف بذلك رضي الله عنهم. انظر الموافقات ٤/ ٤٨.

٢ ـ [**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**] {آل عمران:١١٠}.

وجه الاستدلال من هذه الآية: أنها تدل على الخيريَّة المطلقة، وإثبات الأفضلية لهذه الأمة على جميع الأمة، وذلك يقضي ـ كما يقول الشاطبي ـ باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة. وذلك مما يستلزم عدالتهم رضي الله عنهم.

٣ ـ [**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**] {التوبة:١٠٠}.

إن الله سبحانه قد أثبت رضاه عنهم، وإثبات رضاء الله عنهم لا يكون إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا يكون أهلاً للرضا إلا من كان مستقيماً في أمره عدلاً في دينه.

وهناك آيات كثيرة تنطق بثناء الله تعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان فضلهم، وهذه الآيات وإن لم تصرح بعدالتهم فإنها ـ كما يقول ابن النجار ـ في شرح الكوكب المنير ٢/ ٤٧٥: (إن من أثنى الله سبحانه عليه بهذا الثناء، كيف لا يكون عدلاً ؟ فإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس، فكيف لا تثبت العدالة بهذا الثناء العظيم من الله سبحانه وتعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم).

وأما السنة: فمنها:

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبّوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه).

قال السخاوي في فتح المغيب ٣/ ١٠٢: (ووجه الاستدلال به: أن الوصف لهم بغير العدالة سبّ، لاسيما وقد نهى صلى الله عليه وسلم بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه لشهود المواقف الفاضلة، فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى).

٢ ـ وما رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ٤/ ٢٩٤، عن بهز بن حكيم عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى:[**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**] {آل عمران:١١٠}. قال: إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله).

فالنبي صلى الله عليه وسلم أثبت لهذه الأمة الخيريَّة عند الله على من تقدمها من الأمم، والخيريَّة وإن ثبتت لجميع الأمة فالصحابة يدخلون في ذلك دخولاً أولياً، بل هم أولى بالدخول في ذلك من غيرهم.

٣ ـ ومنها ما رواه البزار عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله اختار أصحابي على الثقلين، سوى النبيين والمرسلين).

ذكره السخاوي في فتح المغيث ٣/ ١٠٣، وقال: أخرجه البزار بسند رجاله موثقون.

وفي اختيار الله سبحانه لهم على الثقلين أعظم دليل على عدالتهم، وإلا فما كان لله سبحانه أن يختار من سائر خلقه سوى النبيين والمرسلين قوماً ليسوا عدولاً ولا صالحين.

٤ ـ ومنها: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب...).

رواه البخاري في كتاب العلم ١/ ٣١، ومسلم في كتاب القسامة ٣/ ١٣٠٦.

ووجه الاستدلال من هذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك في حجَّة الوداع، وقد اجتمع فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلهم، وفي قوله صلى الله عليه وسلم هذا لهم أعظم الدليل على أنهم كلهم عدول، ليس فيهم مجروح ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم مجروح أو ضعيف إذ لو كان فيهم مجروح أو ضعيف، أو كان فيهم غير عدل لاستثنى في قوله صلى الله عليه وسلم، فلما أجملهم بالذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دلّ ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً. انظر صحيح ابن حبان ١/ ٩٠.

٥ ـ ومنها ما رواه أحمد في مسنده ٤/ ٨٧، ٥/ ٥٤، والترمذي في كتاب المناقب، ٥/ ٣٥٨، وابن حبان، انظر الموارد كتاب المناقب ص ٥٦٨: عن عبد الله بن مفضل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً، بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه). واللفظ لأحمد.

وجه الاستدلال من هذا الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم يحذّر المسلمين ربَّهم، أن يتخذوا أصحابه غرضاً، وهدفاً للطعن فيهم، أو الحط من قدرهم، ولا يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك إلا لمن كانوا عدولاً صالحين.

... وهناك أحاديث كثيرة تنطق بثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه رضي الله عنهم ، وبيان فضلهم على ما سبق ذكره، وهذه الأحاديث وإن لم تصرح بعدالتهم إلا أنها تستلزم ذلك.

والمعقول: هو ما تواتر عنهم من الأعمال الجليلة، والخيرات الوفيرة، التي قدموها للدين الحنيف، فقد بذلوا في سبيل نصرة الإسلام الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.

قال الخطيب البغدادي في الكفاية ص٩٦: (على أنه لو لم يرد الله عزَّ وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدَّلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين).

وأختم هذا المبحث بكلام محرر لأخينا الكبير الشيخ صلاح الدين الإدلبي في كتابه " متنزه الأنظار" حول عدالة الصحابة:

(أهل المرتبة الأولى – الذين تقدم ذكرهم في تعريف الصحابي- لا شك في عدالتهم وقَبول رواياتهم، وأهل المرتبة الثانية لا ينبغي تعديلهم وقَبول رواياتهم

بإطلاق، وهذا لا يعني أنها مردودة كذلك بإطلاق، بل إذا جاءت على وَفق روايات أهل المرتبة الأولى فبها ونعمت، وإلا فلا بد من التوقف.

وأما ما اشتَهر عند المحدثين من أن الصحابة كلهم بكلتا المرتبتين عدول فهذا لا بد فيه من وقفة.

- بعض أدلة القائلين بعدالة عموم الصحابة:

يستدل القائلون بعدالة عموم الصحابة وقبُول مروياتهم بإطلاق بعدد من الآيات القرآنية الكريمة:

قال الخطيب البغدادي رحمه الله في كتاب الكفاية: [عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن، فمن ذلك قوله تعالى :{كنتم خير أمة أخرجت للناس}، وقوله :{وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيد} وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص، وقيل هو وارد في الصحابة دون غيرهم، وقوله :{لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا}، وقوله تعالى {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه}، وقوله تعالى :{والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم}، وقوله :{يا أيها النبي

حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين}، وقوله تعالى:{للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}، في آيات يكثر إيرادها ويطول تعدادها].

واستدل بعضهم بقوله تعالى :{محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما} .

الآيات القرآنية الكريمة المعلقة بوصف هي خاصة بأهل ذلك الوصف، ومنها الآيات التي نزلت في أهل بيعة الرضوان، وفي الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، وكذا الآيات التي نزلت في السابقين وفي السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وفي الذين هم أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا، فلا تشمل هذه الآيات غير أهلها.

والثناء على الأمة في قوله تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} هو لقيامها بالخصال المذكورة، وقوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} ثناء، لأن الوسط هو الخيار، ولكنه ثناء على الأمة من حيث المجموع لا من حيث الأفراد، فلا ينفي أن يكون فيها مَن ليس مِن الخيار.

وقد يُظن أن قوله تعالى: {يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين} يشمل كل من اتبعه بالإيمان، فيكون في الآية ثناء على كل من لقيه وآمن به، ولكن الآية جاءت في سياق من اتصفوا بالنصرة، فقد قال تعالى:{وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم، إنه عزيز حكيم، يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين}.

فلا دلالة في أي واحدة من تلك الآيات القرآنية الكريمة على تعديل كل من صحب النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولو ساعة من نهار.

ثم قال الخطيب البغدادي: [ووصفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة مثل ذلك وأطنب في تعظيمهم وأحسنَ الثناء عليهم، فمن الأخبار المستفيضة عنه في هذا المعنى عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق أيمانهم شهادتهم**

ويشهدون قبل أن يُستشهدوا". وعن أبى سعيد أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"**].

والحديث الأول من هذين ثناء من حيث المجموع لا من حيث الأفراد، والحديث الثاني خطاب لخالد بن الوليد، فهو يفيد أن مقام الصحبة هو لعبد الرحمن بن عوف وأمثاله، كما تقدَّم.

ثم روى الخطيب من طريق بكر بن سهل الدمياطي عن عمرو بن هاشم البيروتي عن سليمان بن أبى كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مهما أوتيتم من كتاب الله فالعملَ به، لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني ماضية فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأيهم أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة".

[بكر بن سهل الدمياطي ضعيف واتُّهم بالوضع. سليمان بن أبي كريمة شامي ضعيف وعامة أحاديثه مناكير. جويبر بن سعيد بلخي كوفي متروك ليس بثقة].
فهذا السند تالف.

ثم روى من طريق نعيم بن حماد عن عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي، فأوحى الله إليَّ: يا محمد، إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهم عندي على هدى".

[عبد الرحيم بن زيد العمي متروك الحديث. أبوه زيد بن الحواري ضعيف]. فهذا السند تالف.

ثم روى من طريق إبراهيم بن سعد الزهري عن بشر الحنفي عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله اختارني واختار أصحابي، فجعلهم أصهاري وجعلهم أنصاري، وإنه سيجيء في آخر الزمان قوم ينتقصونهم، ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تنكحوا إليهم، ألا فلا تصلوا معهم، ألا فلا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة"]. السند إلى بشر الحنفي صحيح، وبشر مجهول. فهذا السند ضعيف لا تقوم به حجة.

ثم روى من طريق أحمد بن محمد بن سليمان التستري عن أبي زرعة الرازي أنه قال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآنَ والسُننَ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما

يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة". السند إلى أحمد بن محمد بن سليمان التستري لا بأس به، لكن التستري هذا لم أجد له ترجمة.

واستدل بعضهم بما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون فيكم مَن صاحبَ رسولَ الله؟ فيقولون نعم، فيُفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيُقال هل فيكم مَن صاحب أصحاب رسول الله؟ فيقولون نعم، فيُفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيُقال هل فيكم مَن صاحبَ مَن صاحبَ أصحاب رسول الله؟ فيقولون نعم، فيُفتح لهم".

وهذا الحديث فيه ثناء على أهل القرون الثلاثة التي تشمل الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وهو ثناء من حيث المجموع لا من حيث الأفراد، لذا فإن هذا الحديث في واد والمسألة التي عليها مدار البحث في واد آخر!، وإذا أردنا أن نفهم منها تعديلَ كل الصحابة بالمعنى العام فيلزم من ذلك أن نقول بتعديل كل التابعين وأتباع التابعين كذلك، وهذا واضح البطلان، وإذا كان اللازم باطلا فالملزوم مثله.

هذا وقد أبعد النجعة أحد طلبة العلم فقال: "الصحابي هو من لقي رسولَ الله بعد بعثته وقبل موته مؤمنا به ومات على ذلك، ويدخل في هذا التعريف مَن

قصُرت صحبته ولو كانت للحظة، ويدل على ما ذكرناه الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم، واللفظ الذي سنذكره هو لفظ مسلم يرويه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله أنه قال: "يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيُقال لهم: فيكم من رأى رسول الله؟. فيقولون: نعم. فيُفتح لهم". الحديثَ.

أقول: هذا اللفظ مخالف للفظ الرواية السابقة التي فيها "فيقولون فيكم مَن صاحبَ رسولَ الله؟"، ولا شك في أن أحد اللفظين هو الثابتُ والآخَرَ هو من باب الرواية بالمعنى، ولذا فلا بد من البحث عن اللفظ النبوي.

هذا الحديث رواه تسعة من الرواة عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باللفظ الأول، "فيقولون فيكم مَن صاحبَ رسولَ الله؟ فيقولون نعمْ"، كما في صحيح البخاري وسنن سعيد بن منصور ومسند الحميدي ومسند أحمد والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم وصحيح ابن حبان ومعجم ابن الأعرابي ودلائل النبوة للبيهقي، ورواه أبو خيثمة زهير بن حرب عن ابن عيينة به باللفظ الثاني، "فيُقال لهم فيكم مَن رأى رسول الله؟ فيقولون نعمْ"، كما في صحيح مسلم ومسند أبي يعلى!.

واللفظ الأول رواه كذلك مسلم في صحيحه عن سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان الأموي عن أبيه عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر به نحوه، ورواه أبو محمد الفاكهي وعنه ابن بشران من طريق هشام بن سليمان المخزومي عن ابن جريج به، ورواه القطيعي في زوائد

فضائل الصحابة من طريق قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة عن أبي الزبير به، ورواه ابن الأعرابي في معجمه من طريق وهب بن منبه عن جابر بن عبد الله به.

فلا شك في أن اللفظ الثابت في الرواية هو الأول، وأن الثاني لا يجوز الاحتجاج به، لأنه من باب الرواية بالمعنى.

وقال بعضهم في الاستدلال لهذا القول: [وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة والتابعين بقوله "طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني"، فاكتفى فيهما بمجرد الرؤية].

وهذا حديث حسن بطرقه، ومعناه أن الذين رأوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُغبطون بتلك الرؤية الشريفة، كما يُغبط كذلك مَن رأى مَن رآه، ولا يصح الاستدلال به على توثيق كل مَن له رؤية للنبي صلى الله عليه وسلم، كما لا يصح الاستدلال به على توثيق كل مَن رأى مَن رآه، ويلزم من توثيق كل صحابي له رؤية أن يكون كل تابعي له رؤية لصحابي ثقة كذلك، وهذا اللازم باطل ـ للإجماع على أن التابعين فيهم الثقاتُ وغيرُ الثقاتِ ـ فالملزوم باطل مثله.

مذهب جمهور الشيعة في عدالة الصحابة:

إن جمهور الشيعة يضلِّلون كل من لم يقر بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نصَّ نصاً صريحاً على أن الخليفة من بعده هو علي بن أبي طالب، فالعدالة عندهم تختص بمن بايع علياً، أو الصفوة من أهل بيته، وما سواهم فهم ضلال من حزب الشيطان.

وتنظر أقوالهم في الشافي ٥/ ٤٩ـ٥٠، والاحتجاج لأبي منصور الطبرسي ٢/ ٢٢٨ـ٢٢٩،

يقول فخر الشيعة الإمامية وشيخها أبو عبد الله محمد العكبري الملقب بالشيخ المفيد في كتابه الاختصاص ص٤، ص١٧: (إن الصحابة قد ارتدوا جميعاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة ـ أي زيادة على أهل البيت ـ وهم: سلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، ثم ذكر أن أربعة آخرين قد لحقوا بهم، وهم: عمار بن ياسر، وأبو ساسان الأنصاري، وحذيفة، وأبو عمرة فصاروا سبعة).

وليس لهؤلاء حجة يعتمد عليها، ولا دليل يعتدّ به، وإنما هي أقوال يقولونها من عند أنفسهم، وتارة ينسبونها إلى الصفوة من آل بيت النبوة، وآل البيت برءآء من أيّ سب وشتم، وإنما كانوا يتمثلون قول الله عزَّ وجل: [**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**] {الحشر:١٠} .

وعلى رأسهم سيدنا علي رضي الله عنه فمن المعلوم بالتواتر، أنه كان الوزير المقرب، والمستشار المحبب إلى أبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم.

والصحابة كانوا كما وصفهم تبارك وتعالى:[**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**] {الفتح:٢٩}. وما تقدم من أدلة الكتاب والسنة، والإجماع، والمعقول، كاف في إثبات العدالة لهم، والرد على من انتقصهم أو طعن فيهم رضي الله عنهم أجمعين.

تنبيه: ليس المراد بعدالة الصحابة رضي الله عنهم هو عصمتهم عن الخطأ والنسيان، والذنوب والعصيان، إذ العصمة لم تثبت لأحد بعد أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وإنما المراد بعدالتهم أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك تقبل مروياتهم من غير أن نبحث عن عدالتهم أو نطلب من أحد تزكيتهم.

قال الشوكاني في إرشاد الفحول صلى الله عليه وسلم ص ٧٠ نقلاً عن ابن الأنباري: (وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم، واستحالة المعصية عليهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة، وطلب التزكية إلا أن يثبت ارتكاب قادح، ولم يثبت ذلك ولله الحمد، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح، وما يصح منه فله تأويل صحيح).

ويقول الآلوسي في الأجوبة العراقية ص٢٣-٢٤: (ليس مرادنا أن كون الصحابة رضي الله عنهم جميعاً عدولاً أنهم لم يصدر عن واحد منهم مفسق أصلاً، ولا ارتكب ذنباً قط، فإن دون إثبات ذلك خرط القتاد، فقد كانت تصدر منهم الهفوات، ويرتكبون ما يُحدّون عليه، وإنكار ذلك مكابرة صرفة، وعناد محض، وجهل بموارد الآيات والأحاديث، بل مرادنا: أنهم لم ينتقلوا من هذه الدار إلى دار القرار إلا وهم مطهرون، تائبون، آيبون، ببركة صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ونصرتهم إياه، وبذلك أنفسهم وأموالهم في صحبته، وتعظيمهم له أشد

التعظيم سراً وعلانية، كما يدل على ذلك الكتاب وتشهد له الآثار...) وانظر روح المعاني ٢٦/ ١٤٦-١٤٧.

والذين قارفوا إثماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حُدُّوا هُم قلة نادرة لا ينبغي أن يغلب شأنهم وحالهم على الألوف المؤلفة من الصحابة رضي الله عنهم الذين ثبتوا على الجادة والصراط المستقيم، وحفظهم الله تبارك وتعالى من المعاصي والمآثم، و التاريخ الصادق أكبر شاهد على هذا. وانظر : روح المعاني ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

حكم من سب الصحابة رضي الله عنهم أو طعن في عدالتهم

اتفق العلماء على حرمة سب الصحابة رضي الله عنهم وجرحهم، أو الطعن فيهم والحط من قدرهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلمقام أحدهم ساعة ـ يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم ـ خير من عمل أحدكم أربعين سنة) شرح الطحاوية ص٥٣١.

وروى الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تسبوا أصحابي، لعن الله من سب أصحابي) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢١: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير علي بن سهل وهو ثقة.

وهم بعد أن اتفقوا على حرمة سبهم، وعظيم إثم منتقصهم، اختلفوا في الحكم المترتب على من تفوَّه بذلك: هل يكفر ويحل قتله، أو يفسق ويكتفى بتعزيره وتأديبه؟

فذهب فريق منهم إلى تكفير من سبَّ الصحابة رضوان الله عليهم أو انتقصهم وطعن في عدالتهم أو جاهر ببغضهم، وأنه يهدر بذلك دمه ويحل قتله، إلا أن يتوب ويترحم عليهم رضي الله عنهم.

وممَّن ذهب إلى ذلك الإمام السرخسي قال: (فمن طعن فيهم فهو ملحد منابذ للإسلام، دواؤه السيف إن لم يتب) السرخسي ٢/ ١٣٤.

والإمام أبو زرعة الرازي، حيث قال: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق) الكفاية ص٩٧.

والإمام الحميدي فيما نقله عن الإمام مالك: (فمن سبهم أو انتقصهم أو أحداً منهم فليس على السنة، وليس له في الفيء حق، أخبرنا بذلك غير واحد عن مالك بن أنس أنه قال: قسم الله تعالى الفيء فقال: [**لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**] {الحشر:٨}. ثم قال:[**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**] {الحشر:١٠}.فمن لم يقل هذا لهم فليس ممن جعل الله له الفيء. أصول السنة ٢/٥٤٦، شرح الطحاوي ٥٢٨-٥٢٩، تفسير ابن كثير ٤/ ٣٣٩.

والإمام القرطبي كما في كتابه الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٩٧ فإنه بعد أن نقل عن الإمام مالك قوله: (من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية:[**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**] {الفتح:٢٩}.) الفتح ١٢٩، قال: لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد ردّ على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين. وانظر: الصارم المسلول لابن تيمية ص٥٧٠.

وقال الطحاوي في عقيدته: (وحبهم ـ أي الصحابة رضي الله عنهم ـ دين وإيمان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان) العقيدة الطحاوية ص٥٢٨.

والقول بتكفير من سب الصحابة هو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، الصارم المسلول ص٥٧١. **والمسألة فيها تفصيل طويل جدا لا يتسع المقام لذكره.**

وأختم هذا البحث بهذه الكلمة الجامعة للإمام شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي الصوفي (ت ٦٣٢) في رسالته " أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى":

في ذكر أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأهل بيته

اعلمْ أَنَّ مِيرَاثَ النُّبوَّةِ العِلمُ ، وقد توارثَهُ أصحابُهُ وَأَهلُ بَيْتِهِ الطَّاهِرِيْنَ، وَقَدْ وَجبَ عَلَيْكَ مَحَبَّةُ الجَمِيْعِ ؛ فَلَا تَكُنْ مَائِلاً إِلَى إِحْدَى الجِهَتَيْنِ دُوْنَ الأُخْرَى(١) ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هَوَى ، وَلَا تنزعْ مِنكَ هذا المَيْلَ حتى يُنَازِلَ بَاطِنَكَ شَيءٌ مِنْ مَحَبَّةِ الله تَعَالَى الخَاصَّةِ فَحِيْنَئِذٍ تَبْرَأُ مِن الهَوَى ، وَيَكُون عِندَكَ شُغْلٌ شَاغِلٌ بِمَا أُعْطِيْتَ فَتَنْظُرْ بِصَفَاءِ بَصِيْرَتِكَ ؛ وَتَنْكَشِف لَكَ مَحَاسِنُهُم، وَيَتَغَطَّى مَا تُنْكِرُهُ من أَحَدٍ مِنْهُم ؛ فَالاشْتِغَالُ بالعَصَبِيَّة والخَوْضُ في أَمْرِهِم شُغْلُ البَطَّالِيْن ، وَقَدْ اسْتَرْوَحَ قَومٌ إِلى البَطَالَة ، وتَجَرَّؤُوا على المُخالَفَاتِ وارتِكَابِ المَنَاهِي ، وَاتَّخَذُوا مَا زَعَمُوْهُ مَحَبَّةً جُنَّةً لَهُم وحَدَّثَتْهُم نُفُوسُهُم أَنَّ ذَلِكَ يَنفَعُهُم ، كَلَّا، حَتَّى يَسْتَقِيْمُوا عَلَى الجَادَّةِ المُسْتَقِيْمَةِ ؛ فَلَا تَنْفَعُ مَحَبَّتُهُمْ بِغَيْرِ التَّقْوَى ، والصَّلَوَاتُ إِذَا فَاتَت ، وَالأَوْقَاتُ إِذَا ضَاعَت ، وَالذُّنُوْبُ إِذَا ارْتُكِبَت ، وَالمَحَارِمُ إِذَا اسْتُبِيْحَت ، أَنَّى يُجِيْرُهَا دَعوَى مَحَبَّتِهِم.

فَيَجِبُ أَن تُحِبَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهل يَسَعُ قَلْبُ مُؤْمِنٍ إِلَّا ذَلِكَ؟ وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَاطِمَة بِضْعَةٌ

---

(١) المراد بالجهتين: من يفضِّل أصحاب النَّبيِّ على أهل البيت، أو يفضِّل أهل البيت على الأصحاب، والمطلوب هو محبَّتهم جميعاً، وعدم انتقاص أحد منهم.

مِنِّي)(٢) ثُمَّ مَا بَلَغَكَ مِنْ زُهْدِهَا فِي الدُّنْيَا وَعِلْمِهَا وَتَجَرُّعِهَا مَرَارَاتِ الفَقْرِ والقِلَّةِ ، وَحُسْنِ صَبْرِهَا وَاحْتِسَابِهَا يُوْجِبُ مَحَبَّةَ القَلْبِ ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نِسْبَةُ رَسُوْلِ الله ﷺ ، وَنِسْبَةُ رَسُوْلِ الله ﷺ تُوْجِبُ المَحَبَّة ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الصِّفَاتُ الظَّاهِرَة ؛ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ ذَلِكَ كُلُّه ، والحَسَنُ والحُسَيْنُ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُمَا أَوْلَادُهَا، وَأَوْلَادُهُمْ أَوْلَادُهَا، فَالكُلُّ أَوْلَادُ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَمَنْ فِي قَلْبِهِ حُبُّ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا بُدَّ لَهُ من حُبِّ أَوْلَادِ رسولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا أَصْحَابُهُ فَأَبُو بَكرٍ رَضِيَ الله تعالى عنهُ وَفَضَائِلُهُ لَا تَنحَصِرُ، وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رِضْوَانُ الله تَعَالَى عَلَيْهِم أَجْمَعِيْنَ ، وَكَوْنُكَ تَنْسِبُ عَلِيًّا رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصُّحْبَةِ أَكْمَلُ فِي وَصْفِهِ مِنْ نِسْبَةِ القَرَابَةِ والكُلُّ عَالٍ ؛ لِأَنَّ نِسْبَةَ القَرَابَةِ نِسْبَةُ صُوْرَةٍ ، وَنِسْبَةَ الصُّحْبَةِ نِسْبَةُ مَعْنَى ، فَكَيْفَ يَسَعُ قَلْبُ المُؤْمِنِ أَنْ يَقْدَحَ فِي أَصْحَابِ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ مع رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كجَسَدٍ وَاحِدٍ بَذَلُوا الأَموَالَ والأَرْوَاحَ ، وَهَجَرُوا الأَوْطَانَ ، وَقَاطَعُوا

---

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومنقبة فاطمة عليها السَّلام، برقم: (٣٧١٤)، ٥/ ٢١، وأخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصَّحابة، باب: فضائل فاطمة رضي الله عنها، برقم: (٢٤٤٩)، ٤/ ١٩٠٢.

الأَقْرَابَ والأَقْرَانَ في مَحَبَّتِهِ.

ومِمَّا ظَفِرَ الشَّيطَانُ بِهِ من هَذِهِ الأُمَّةِ وَخَامَر العَقَائِدَ مِنْهُ دَنَسٌ ، وَصَارَ في الضَّمَائِرِ ، حَيْثُ أَظْهَرَ مِن الْمُشَاجَرَةِ بَيْنَهُم ؛ فَأَوْرَثَ ذَلِكَ أَحْقَاداً وَضَغَائِنَ في البَوَاطِنِ ، ثُمَّ اسْتَحْكَمَت تِلْكَ الضَّغَائِنُ وَتَوَارَثَهَا النَّاسُ ؛ فَكَثُفَتْ وَتَجَسَّدَتْ وَجَذَبَتْ إِلَى أَهْوَاءٍ اسْتَحْكَمَتْ أُصُوْلُهَا ، وَتَشَعَّبَتْ فُرُوْعُهَا.

فَأَيُّهَا الْمُبَرَّأُ مِن الهَوَى والعَصَبِيَّةِ:

اعْلَمْ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ نَزَاهَةِ بَوَاطِنِهِم ، وَطَهَارَةِ قُلُوْبِهِم ، كَانُوا بَشَراً ، وَكَانَتْ لَهُم نُفُوْسٌ ، وَلِلنُّفُوْسِ صِفَاتٌ تَظْهَرُ ؛ فَقَدْ كَانَت نُفُوْسُهُم تَظْهَرُ بِصَفَةٍ وَقُلُوبُهُم مُنكِرَةٌ لِذَلِكَ ؛ فَيَرجِعُوْنَ إِلَى حُكْمِ قُلُوبِهِم ، وَيُنْكِرُوْنَ مَا كَانَ مِنْ نُفُوْسِهِم ؛ فَانْتَقَلَ اليَسِيْرُ مِنْ آثَارِ نُفُوْسِهِم إِلَى أَرْبَابِ نُفُوْسٍ عُدِمُوا القُلُوْبَ، فَمَا أَدرَكُوا قَضَايَا قُلُوْبِهِم ، وَصَارَت صِفَاتُ نُفُوْسِهِم مُدْرِكَةً عِنْدَهُم للجِنْسِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ ؛ فَبَنَوا تَصَرُّفَ النُّفُوسِ على الظَّاهِرِ المَفهُومِ عِندَهُم، وَوَقَعُوا في بِدَعٍ وَشُبَهٍ أَوْرَدَتهُم كُلَّ مَوْرِدِ رَدَى، وَجَرَّ عَنْهُم كُلَّ مَشْرَبِ وَبَىّ ، وَاسْتَعْجَمَ عَلَيْهِم صَفَاءُ قُلُوْبِهِم ، وَرُجُوْعُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم إِلَى الإِنْصَافِ ، وَإِذْعَانُهُ لِمَا يَجِبُ من الاعْتِرَافِ ، وَكَانَ عَقْدُ اليُسْرِ من صِفَاتِ نُفُوْسِهِم ؛ لِأَنَّ نُفُوْسَهُم كَانَت مَحْفُوْفَةً بِأَنْوَارِ القُلُوْبِ ؛ فَلَمَّا تَوَارَثَ ذَلِكَ أَربَابُ النُّفُوْسِ الْمُتَسَلِّطَة، الأَمَّارَةِ بالسُّوْءِ، القَاهِرَةِ القُلُوبَ ، الْمَحْرُوْمَةِ أَنْوَارُهَا ، أَحدَثَ عِنْدَهُم العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ.

فإِنْ قَبِلْتَ النُّصْحَ فَأَمْسِكْ عَن التَّصَرُّفِ في أَمرِهِم، واجعَل مَحَبَّتَكَ للكُلِّ عَلى السَّوَاءِ مِن غَيرِ أَن تُرَجِّحَ مَحَبَّةَ أَحَدِهِم على الآخر ، وَأَمْسِكْ عَن التَّفْضِيْلِ وَالعُلُوِّ ؛

فَأَمْرُهُمْ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَخُوْضَ فِيْهِ، وَإِنْ خَامَرَ بَاطِنُكَ فَضْلُ أَحَدِهِمْ عَلَى الآخَرِ ؛ فَاجْعَلْ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ أَسْرَارِكَ ؛ فَلَا يُكْرِمُكَ إِظْهَارُهُ ، وَلَا يُكْرِمُكَ أَنْ تُحِبَّ أَحَدَهُمْ أَكْثَر مِن الآخَرِ ، وَتَعْتَقِدَ فَضْلَهُ أَكْثَر مِن الآخَر ، بَلْ يلزمك مَحَبَّةُ الجَمِيْعِ ، وَالاعْتِرَافُ بِفَضْلِ الجميعِ ، وَيَكْفِيْكَ في العَقِيْدَةِ السَّلِيْمَةِ أَنْ تَعْتَقِدَ صِحَّةَ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رِضْوَانُ الله عَلَيْهِ ، وَخِلَافَةِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رِضْوَانُ الله تَعَالَى عَلَيْهِم أَجْمَعِيْنَ ، ثُمَّ تَعْلَمَ أَنَّ عَلِيّاً وَمُعَاوِيَةَ كَانَا عَلَى القِتَالِ والخِصَامِ ، وكانت طَائِفَتَان يَسُبُّ بَعْضُهُم بَعْضاً ، وَمَا حَكَمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِكُفْرِ الآخَرِيْنَ ؛ وَإِنَّمَا كَانَتْ ذُنُوْباً لَهُم ؛ فَلَا تُكَفِّرْ أَحَداً بِمَا تَرَى مِنْهُ مِن الجَهلِ والسَّبِّ.

وَاعْتَقِدْ أَنَّ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلِيّاً رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ اجْتَهَدَ في الخِلَافَةِ وَأَصَابَ في الاجْتِهَادِ ، وَكَانَ أَحَقَّ النَّاسِ بِالخِلَافَةِ إِذْ ذَاك ، وَأَنَّ مُعَاوِيَةَ اجْتَهَدَ في ذَلِكَ وَأَخْطَأَ في الاجْتِهَادِ ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقّاً لَهَا مَعَ وُجُوْدِ عَلِيٍّ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ، وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْفَعُنَا بِمَحَبَّتِهِم، وَيَحْشُرُنَا في زُمْرَتِهِم" انتهى.

وبعد:

فقد اختار الله سبحانه رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ليكون سيد رسله وخاتم أنبيائه، واختار دين الإسلام ليكون أكمل أديانه، وخاتم شرائعه، وكما اختار سبحانه نبيه من بين الأنبياء، ودينه من بين الأديان، اختار كذلك حملة هذا الدين ونقلته من بين سائر الناس، فكانوا هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، خُلَّص عباده، ونخبة عبَّاده، شموساً أطلعهم الله جل وعلا في عالم الإنسانية مرة، ما سمعنا ولا عرفنا أنها ظهرت على بساط الأرض مرة أخرى.

ومن مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أول من آمن به وصدقه، وآزره ونصره، واتبع النور الذي أنزل معه، وزراء مخلصين، وأنصاراً محبين، وأعواناً صادقين، ما فتئوا يذبون عن شريعته، وينافحون من أجل تبليغ سنته، هانت عليهم في سبيل الله أرواحهم، ورخصت عندهم من أجله أموالهم، وسهل عليهم مفارقة أوطانهم وأزواجهم وأولادهم، فكم جابوا من بلاد، وكم قطعوا من فيافي ووهاد.

وها هي ذي قبورهم شاهدة على تطوافهم وتجوالهم، ففي خراسان والعراق، والشام واليمن، وتركيا، والهند، وأماكن أخرى كثيرة مما نعلمها ومما لا نعلمها، تدل دلالة واضحة، وتشهد شهادة صادقة، على أن أولئك القوم كانوا أرباب دعوة، وحملة رسالة، دأبوا من أجل نشرها وتبليغها:[**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا**] {آل عمران:١٤٦}. ما مالوا إلى دعة، ولا أخلدوا إلى راحة، ولم تغرَّهم الحياة الدنيا بزخارفها ومتعها..

انتشرت كلمة الله بهم، حتى علت في الأرض، ورفرفت راية الدين حتى شملت الآفاق، ما جادت الدنيا ـ في الصحبة ـ بأصحاب مثلهم، وهيهات لها أن تجود.

ثم هم بعد ذلك كانوا يتقلبون بين أنواع العبادات، ومختلف أصناف الطاعات، يصومون النهار، ويقومون الليل، زهاداً في الدنيا، متقشفين في طعامهم، مخشوشنين في ملابسهم، متحلين بالخشوع والورع والعفة والحياء والخلق والأدب.

هؤلاء هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق واصفهم إذ يقول: (إنهم رهبان ليل، وفرسان نهار).

ويا ترى ماذا عسى أن يقول المادحون للصحابة بعد أن مدحهم ربهم وما هو موقع ثنائنا عليهم بعد ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

أما يكفي الصحابة فخراً وشرفاً أن يكون كتاب الله ناطقاً بجميل وصفهم، وعظيم مدحهم؟ أما يكفي فضلاً ورفعة أن يكون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم طافحاً بتعداد محاسنهم، ومشيداً بفضائلهم ومآثرهم؟.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه:

مجد أحمد مكي

٢٩/ ٣/ ١٤٠٤